

الحريات الرقمية والهندسة الجماهيرية في الشبكات الاجتماعية
"قراءة في النظم الخوارزمية"

Digital Freedoms and Mass Audience
Engineering in Social Networks
"A Study in Algorithmic Systems"

*رميسة حساني، جامعة محمد خيضر - بسكرة
مخبر الدراسات التاريخية والحضارية للأوراس
والصحراء الشرقية عبر العصور
roumiesa.hassani@univ-biskra.dz

نبيل لحمر، جامعة محمد خيضر - بسكرة
Lahmer.nabil@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2025/10/18

تاريخ الاستلام: 2025/07/22

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل التفاعلات بين النظم الخوارزمية للشبكات الاجتماعية وبين ممارسات الحريات الرقمية، ضمن إطار ما يعرف بالهندسة الجماهيرية وتنتقل من اعتبار الحريات الرقمية ظاهرة ذات صالية تتجسد في ثلاثة أبعاد أساسية: الإتاحية الرقمية، الحق في الخصوصية، وحرية التعبير، كما تبحث في انعكاسات هذه الحريات على الجمهور في ظل الهيمنة المتزايدة للأنظمة الخوارزمية مع التركيز على آليات إعداد تشكيل المجال العمومي الافتراضي عبر تقنيات التصفية وغرف الصدى.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الحريات الرقمية لم تعد مطلقة، بل أصبحت مشروطة وموجهة بواسطة سلطة الخوارزميات أكثر مما تحددها

*المؤلف المراسل

الأطر القانونية، كما كشفت النتائج أن الممارسات تضع لآليات رقابة غير مرئية تعمل على قنونة أنماط التمرض للمعلومات، عبرة ضيق النوع وتغذية الاستقطاب الإيديولوجي، بما يجعل غرف الصدى وفقا لتصفية أدوات مركزية في عملية هندسة الممارسات وتوجيه الرأي العام ضمن سياسات المنصات الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الحريات الرقمية - الهندسة الجماهيرية - النظم الخوارزمية - الشبكات الاجتماعية.

Abstract:

This study aims to analyze the interactions between algorithmic systems of social networks and the practice of digital freedoms within the framework of mass audience engineering. It begins from the premise that digital freedoms represent a communicative phenomenon embodied in three core dimensions: digital accessibility, the right to privacy, and freedom of expression. The study further explores how these freedoms are reshaped under the dominance of algorithmic systems, with a particular focus on the mechanisms of filter bubbles and echo chambers in reconstructing the virtual public sphere.

The findings reveal that digital freedoms are no longer absolute but rather conditional and directed by algorithmic systems, to a greater extent than by legal frameworks. The study also shows that audiences are subject to forms of invisible control that structure their patterns of information exposure. Through the narrowing of diversity and the amplification of ideological polarization, filter bubbles and echo chambers emerge as central tools in the engineering of audiences and the steering of public opinion in alignment with the policies of digital platforms.

Keywords: Digital freedoms, Mass Audience Engineering, algorithmic systems, social networks.



مقدمة:

شهدت الحريات الرقمية كفعلات صالي جماهيري تحولات جذرية نتيجة انتشار الشبكات الاجتماعية وتزايد الاعتداء على الأنظمة الخوارزمية في التحكم بعملات الانترنت، والاعتماد على عملية التفاعل الجماهيري خاصة عبر منصة فايسبوك وإنستغرام وتيك توك، فقد أصبحت هذه الشبكات مجالاً لضياع سمعة عادة صياغة الممارسات الصالية للجمهور، حيث تقاطع فيه ضايا الخصوصية، والإتاحة الرقمية، وحرية التعبير مع المدخلات الخوارزمية من رقابة وضبط رقمي، وتثير هذه التحولات إشكاليات نظرية حول ظاهرة الحرية الرقمية وعلاقتها بجمهورية المستخدمين انطلاقاً من جملة التأثيرات التي تفرزها الأنظمة الخوارزمية على المستوى الاجتماعي والنفسي والتشريعي، باعتبار هذه الأنظمة أدوات لتمكين الرقمي، أم أنها استراتيجيات تقنية تهدف لكافة الممارسات الصالية وتبني تمثيلات جديدة لهم حول مختلف الأحداث والقياسات، وإن تاج ظواهر جديدة تتجذر من خلال غرف الصدى وفقاعات التصفية.

لهدف هذه الدراسة النظرية إلى توضيح معالم الحريات الرقمية كظاهرة اتصالية، وتحليل انعكاسات خصوصية الجمهور على ممارساته للحريات الرقمية في ظل الأنظمة الخوارزمية، واستكشاف دور غرف الصدى وفقاعات التصفية في تمكين الجمهور من تشكيل أنماط جديدة من الحريات الرقمية عبر الشبكات الاجتماعية.

وتبرز أهمية موضوع الدراسة في المساهمة العلمية في فهم ظاهرة الحريات الرقمية على الصعيد الاتصالي من خلال إبراز دور الأنظمة الخوارزمية في إعادة تشكيل مختلف المشاهد الرقمية للجماهير استناداً لدور غرف الصدى وفقاعات التصفية في صياغة شبكات اجتماعية ذات نمط حر حول فكرة التمكين والتقييد في بناء الحريات.

لنطرح التساؤل الرئيسي التالي:

- كيف تساهم النظم الخوارزمية في إعادة هندسة الجماهير حول حرياتهم الرقمية؟
- ومنه نطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تناقش متغيرات دراستنا:
- كيف تتشكل الحريات الرقمية كظاهرة اتصالية في سياق الشبكات الاجتماعية؟
- كيف تنعكس الحريات الرقمية للجماهير في ظل الأنظمة الخوارزمية في سياق الشبكات الاجتماعية؟
- كيف يتمثل دور "غرف الصدئ" و"فقاعات التصفية" في تمكين الجمهور وتشكيل أنماط جديدة من الحريات الرقمية داخل الشبكات الاجتماعية؟

أولاً: الحريات الرقمية كظاهرة اتصالية لدى جمهور الشبكات الاجتماعية

يعتبر بروز الشبكات الاجتماعية وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية حجة مؤكدة للفرضية الماكلوهازية القائلة "الوسيلة هي الرسالة"، إذ بدون الوسيلة يغيب المضمون ويختفي معه المرسل والمستقبل وتتلاشى أية عملية إعلامية تواصلية في الأساس، ومن هنا كان ذات تاج هذه الحتميات بروز ظواهر إعلامية واتصالية حديثة التي بدورها أدت للتحديث عن متغيرات لها علاقة بما هو رهن من ممارسات رقمية، فالحديث عن عصر ما بعد الحداثة الذي يعبر حركته شاملة لجميع المجالات أثرت على حريات الأفراد عبر الفضائيات العامة لينتقل هذا التأثير إلى الشبكات الاجتماعية التي بدورها تكتسي طابعاً حراً أعطى للمستخدم عدة وظائف وأدواراً طرقت قلب الحرية له من جديد، وأضفت عليها الوسائل الرقمية حتمية لها، ليجد الفرد نفسه يعيش جملة من التغيرات في أداء وظائفه وأدواره الحقيقية والمجتمعية، وحتى البنية الأخلاقية له، ليجد نفسه في مرحلة أخرى يطبق عليها عصر ما بعد الحقيقة أو حالة اللوهم المصطنع في أنماط الحياة الجديدة نتيجة الحياة الرقمية الراهنة.

وقد أشار تقرير مؤثر الحرية الإذسانية لسنة 2024 إلى أن الحريات الفردية قد تم قيا سها من خلال 86 مؤشرا ي شمل أبعاد الحرية الشخص صية ومن هها مؤشرا تة الانتزنت والخصو صية وحرية التعبير، وتغطي هذه المؤشرات 165 دولة تم ثل 98% من سكان العالم، كما يظ هر أن مستويات الحرية بشكل عام والحريات الرقمية بشكل خاص تراجعت عقب جائحة كورونا، كما أنه إتا حة مؤشر الحرية، حيث يتم تع نحو 14% من سكان العالم بأعلى مستويات الحرية، بينما ي عيش 43% الر بق الأدنى من الحريات. (Ian Vázquez, Matthew D. Mitchell, Ryan Murphy et Guillermina Sutter Schneider, 2024, p. 03)، فالتفاوت الكبير بين الدول في التمتع بحريات هها يثبت أن العوا مل السياسية والاجتماعية وح تى القانونية ع لى أثر بالغ ع لى الحريات الرقمية، وهو ما يثبت أن الهندسة الجماهيرية لا تع مل في فراغ، بل في ظل مؤسسات وقوانين وسياقات محلية ودولية.

وعند النظر للحريات الرقمية نجد أنها حق الأفراد في تسيير الو صول واستخدام وإن شاء وذ شر المحدثوى الرقمي، ولا استخدام أي حواسيب أو أجهزة الكترونية، أو برمجيات أو شبكات اتصالات دون شرط أو قيد، ويرتبط هذا الحق بمجموعة من الحريات والحقوق منها: حرية الرأي، وحرية التعبير، وحق الخصو صية، وحق تداول كافة المعلومات المعروفة، وغيرها من الحقوق والحريات، وتستند الحريات الرقمية بشكل أساسي ع لى أربعة مبادئ أساسية: الإتا حة والحق في الخصو صية وحرية التعبير وحرية الاستخدام والابتكار (نيل محمد خليل إبراهيم المزازي، 2024)، أي ممارسة الحق في الاتصال الرقمي ضمن الشبكات الاجتماعية وتشتمل ع لى جملة من المنطلقات كالحق في الإتا حة، والحق في الخصو صية التي تقصد بها قرار الم استخدم في كيفية الإفصاح عن ذاته، وحرية التعبير والرأي، مع الأخذ في الاعتبار الآليات التي تعاد من خلالها بناء هذه الحقوق بفعل الأنظمة الخوارزمية التي تع مل ع لى توجي ه عمليات التفاضل الجماهيري، وتتحكم في تداول

المحتويات الرقمية و تؤثر على تمثيلات النفسية والاجتماعية المستخدمين حول القضايا والأحداث المختلفة من خلال المنصات الشائعة الاستخدام: فايسبوك وأنستغرام وتيك.

وهنا تجلت لنا كظاهرة ناتجة عن استخدام الجمهور للشبكات الاجتماعية بكل مفرزاتها، لكن لا بد لنا أولاً للإشارة إلى مداخلها التشريعية والاجتماعية والنفسية، التي بدورها تعبر منطلقات أساسية في بناء تمثيلاتهم تدور من الفضاء العام ومعتقدات وسلوكيات أخرى ظهرت نتيجة عملية الاتصال الرقمي في الشبكات الاجتماعية.

فهو كعمل اتصالي ليس مست محدود في حرية التعبير فقط، بل هي عملية مركبة تتداخل فيها عدة ممارسات استخداماتية أخرى كالحق في الاتصال الرقمي الذي يعبر مؤشراً ل إتاحة مصادر المعلومات والحق في الانترنت والحق في الحصول على المعلومات والحق في الاندماج الرقمي "بالنسبة للجمهور الذي كان في بدايته جمهوراً خطياً وكان دوره يفتصر على التمرص فقط، ثم تطور المفهوم نتيجة تطور هذه الأدوار والوظائف سواء بالنسبة للقائم بالاتصال أو المتلقي، وأصبحت لنا مخرجات أخرى لهذه الأدوار من حقوق وحرريات التي يتمتع بها المستخدم وفقاً للمواثيق والتشريعات الدولية والاقليمية والمحلية، وظهور المواطن الرقمي الذي هو نتاج ديمقراطية هذه الشبكات، لينتقل الجمهور هنا بكل صفاته إلى مستوى آخر من الاستخدام تتشكل فيه الحقوق والحرريات من جهة، وعمليات الاتصال الجماعي الرقمي، لتتطور وتصبح صناعات شبكية تبني الرأي العام وتوجهه عادته وإنما طه الفكرية والاستهلاكية، وتعيد بناء تمثلاته حول المشاهد السياسية والاجتماعية، وتتغلغل في البنى النفسية له من خلال محاكاة عواطفه ووجدانه، ليصبح متقوقها افتراضياً ضمن سياقات تمنح له الحرية بما يناسبها تشريعياً، واجتماعياً، وسياً، وحتى أخلاقياً، وهذا بدوره يترجم مؤشرات الحريات الفردية الأخرى من الخصوصية الرقمية وحرية التعبير.

و ترى "أسماء ملكاوي في دراستها حول أخلاقيات التواصل الرقمي أن ارتد هان تطور وسائل التواصل الرقمي أصبح مرتبطا بقيمة السوق على حساب القيمة الإنسانية العليا، ويعمل على تشويش إدراكنا، الذي كثيرا ما وثقنا به، حيث هناك مجموعة من المفاهيم التي أصبحت بحاجة ماسة إلى إعادة نظر وتعريف، مثل مفهوم الزمن والعالم والثقافة والهوية والاغتراب والخصوصية والحرية الجديدة (أسماء حسين ملكاوي، 2017، صفحة 26).

فالحريات الرقمية هنا وفرت للجماهير مداخل جديدة جانب الخصوصية الرقمية، نجد أن المستخدمين الرقميين داخل هذه تعدت توقعاتهم الاجتماعية عن فكرة الحرية على أنها حرية المعتد وحرية اللباس وحرية الفكر إلى نوع آخر من الحريات يمكن إرجاعه إلى حتمية الوسيلة والجماهير بحد ذاتها، نجد أن موضوع الخصوصية الرقمية هو حق أصالي، ويمكن النظر له كظاهرة استخدامية تتضمن بعدين هما:

-بعد تقني: متعلق بسياسات الأمان والحماية لمختلف المنصات الاجتماعية مثل فايسبوك الذي يمد المستخدم بلوائح تتضمن مجموعة من الشروط والموافقة عليها هو شرط أساسي لاستخدام المنصة، أي أن مدخل الخصوصية التقنية ليست مجرد قرار أو خيار فردي بل هي آلية معتمدة لهندسة الجماهير من خلال تحكم الخوارزميات في نمط الحريات.

-بعد فردي: الذي يعبر وظيفة للاستعراض الذاتي والذي يتضمن قرار المستخدم في كيفية التصرف عن هويته الافتراضية وفق قواعد تأثيرية تتوجهها تهمته ومعارفه وسلوكياته المرتبطة على منطلقات نفسية واجتماعية بالدرجة الأولى.

إلا أن البعدين يكملان بعضهما انطلاقا من سياسات التحويل والشبكات الاجتماعية إلى قاعدة لتجميع بيانات المستخدمين واستغلالها في عمليات الاتصال السياسي والاجتماعي والتسويقي بناء على الدوافع المعرفية للأفراد، ومنه العمل

على توظيف أنظمة خوارزمية تتماشى مع تلك البيانات السابقة، ومن الحالات الاتصالية التي يعيشها المستخدم في ممارسة حرياته الرقمية هي الإدراك المؤقت للفرد مآلات الخصوصية داخل هذه الفضاءات مما يسمح له أن يعيش دورا من حالة "التحفظ الرقمي" كما أطلقه عليه "ميشيل كارفيل وايان ماكراي" في كتابهما خرافات التواصل الاجتماعي والتي تم شرحها على أنها حالة مؤقتة من دور التحفظ التي يعيشها المستخدم لترجمة مدركاته الحقيقية عن واقعه الاجتماعي والنفسي وحتى السياسي (ميشيل كارفيل، ايان ماكراي، 2023، صفحة 251)، أي أن موضوع الحفاظ على الخصوصية لدى الأفراد ضمن السياقات الافتراضية موضوع مؤقت لا أكثر ولا يمكن للمستخدم أن يتحفظ بشكل دائم على معلوماته نظرا للخصوصية العملية لهذه المنصات.

أما الحق في حرية التعبير من الحقوق المعنوية والفطرية التي يتم تعديها لفرد انطلاقا من عملية الاتصال الرقمية التي يمارسها بشكل يومي من خلال استخدامه للشبكات الافتراضية التي تتوفر على جميع عناصر التعبير عن الرأي، ومن هنا يمكننا أن نطرح مجموعة من الاستفسارات أهمها: ماذا يمكننا أن نقول؟ ومن سيكون المتلقي؟.

ليجد المستخدم نفسه لم يعد تحت رحمة أولئك الذين يسيطرون على مجالات الشركات سابقا، لكن يمكن أن يقول ويناقش ويعالج ما يفكر به دون الحاجة للمرور على عدة حراس للمعلومة، وسيبقى محدثا وتداول جماهير يبادل جماهيرية المضامين الإعلامية. (هالابل سون، 2022، صفحة 400)، فحرية التعبير الرقمية هي مقوم أساسي في استخدام الشبكات الاجتماعية لما تضمنه لها المواثيق والمعاهدات الدولية وساهمت قوة ظهور هذه المنصات في عملية التسويق للأفكار من قبل الأفراد الذين كانوا يفتقدون هذه الممارسة عبر الفضاءات العامة، حيث منحت هذه الأخيرة للأفراد شعور القيمة لكل ما يتم إنتاجه من خطابات رقمية تعبيرية.

هذا يعكس على سبيل المثال دور المؤثرين الرقميون وعلاقتهم بهندسة الجماهير ضمن منصة تيك توك فعملية التوليد لخوارزمي لحسابات مؤثرين مع يمين دون غيرهم على الصعيد العالمي أو المحلي منذحت لهم القدرة على التحكم في النقاشات الافتراضية التي غالباً ما تأخذ صبغة "الترند"، وهذا يعكس قدرة الأنظمة الخوارزمية على الهندسة الجماهيرية عبر منصة تيك توك على إعاقة توزيع الوظائف التعبيرية بين المستخدمين العاديين والمؤثرين الذين يعتبرون قادة رأي.

لنستبطن الحرية الفردية أصبحت يعيش حالة من التباين الافتراضي نتيجة نسبية هذه الأدوار والوظائف ومعدتات الجمهور اتجاهها، ويمكن تفسير هذا التباين من عدة منطلقات أو لها ما يتعلق بالفرد في حد ذاته وحدود المجتمع الذي يعيش به والأنظمة السائدة التي ينتمي لها فكلمها متغيرات تتحكم في دوره كمستخدم يمارس حرية الرقمية ضمن هذه الشبكات.

أما الجانب الثاني للنظام الرقمي بحد ذاته حيث يعتبر ساحة اتصالية تواصلية لبثورة الآراء وإعادة تشكيل أنماط الحريات في شكل محدث وفقاً لما يتناسب مع الإيديولوجيات الافتراضية السائدة التي تدعمها الأنظمة الخوارزمية كتأطير يحدد ويعدل على هندسة الجمهور من خلال فقات تجعله رهيناً لاهتمامات معينة دون أخرى يتعرض لها ثم تعيد تشكيل بناء معارفه وسلوكياته من خلال تطبيق مداخل الإدراك المعرفي للجمهور ويكون هذا من خلال ما يناقشه المستخدم من قضايا، وما ينتقد وما يعلق عليه، وما يشاهده ويتداوله، ليصبح دور الجمهور على أنه مجسداً لسياسات اتصالية معينة دون غيرها مشكلة له مصدر اهتمام كبير تجعله يبنّي حرية عليها، وتحدد درجات كفاية حرية التعبير وفقاً لنوع الخطاب ومجاله الوظيفي الشبكات الاجتماعية.

فالخطاب السياسي يتمتع بأولوية في الحماية القانونية والإعلامية، مما له من دور محوري في بلورة الرأي العام وتفعيل المشهد الديمقراطي،

وعلى النقيض، ينظر إلى الخ طاب الاجت ماعي والت سويقي، على أنهم أقل استحقاقاً للحماية، نظراً لارتباطهم بالصلحة الاجتماعية والاقتصادية، ويعد خ طاب الكراهية بما يتضمنه من تلميحات صالية للعنف أو ممارسات التمييز من أكثر أشكال التعبير الخاضعة للرقابة، بسبب ما يمثلته من تهديد للأمن المجتمعي واستقرار المجتمعات.

ومن هنا يمكننا أن نتساءل حول بناء عالم جديد لحرية التعبير وانتقالها للمادي إلى اللا مادي، في عادة بناء عصر مدياتي جديد، وتوظيف إتاحة الشبكات الاجتماعية وتوفير البنيات بكل أشكالها لإعادة بناء قواعد للحرية الفردية، ففي منصات مثل فيس بوك وتيك توك تمثل الإتاحة أحد مؤشرات الحريات الرقمية، من خلال إتاحة هذه المنصات للمستخدم الفرصة للاطلاع على محتوى رقمي جديد دون متاعب ذلك الحاسب أو الصفحة، إلا أنه يملك أن تعمل على تقييد ذلك من خلال حجب أو تقليل ظهور مواضيع دون غيرها خاصة القضايا السياسية كالقضية الفلسطينية على سبيل المثال.

وتكمن فكرة وصف الشبكات بكون "قرية كوزية صغيرة" خاصة مع انتشار تطبيقات الذكاء الاصطناعي، إلا أنه تبقى هذه المنظومة الاتصالية المجازية خاضعة لمؤثرين يعملون على إنتاج حريات لا تتعارض مع نظمهم الرقمية من سياسات وأيديولوجيات معينة ترسخ لنمط معين من الحريات ككون الفرد هنا هو السلعة.

ثانياً: انعكاس الحريات الرقمية للجماهير في ظل الأنظمة الخوارزمية في سياق الشبكات الاجتماعية:

يمكن فهم الجمهور على أنه جماعة اجتماعية تفاعلية، وإن كانت تفتقر إلى القرب المادي، إلا أنها مرتبطة ببعضها البعض من خلال عملية الاتصال الجاهيري، أو هو مجموعة من الأفراد المنفصلين جسدياً، تجمعهم مجموعة من التمثيلات والمعتقدات والآراء، وبذلك تكون عملية التواصل منظم بين أعضائها عبرت يارم مستمر من

المعلومات والتغذية المشتركة، وهو عددا كبيرا من الأشخاص غير المحددين الذين عادة ما تجمعهم مشاركتهم في استخدام وسائل الاتصال الرقمي ولا يمكن مع دلالة المشاركة والتداول والتفاعل، حيث تشرح هذه الدلالات سبب أهمية مصطلح "عام" بشكل خاص في المناقشات حول وسائل التواصل الاجتماعي، والتي يُفهم عمومًا أنها أكثر ثمرًا للمشاركة من وسائل الإعلام التقليدية (Gerbaudo، 2025، صفحة 04).

ليصف "غو ستاف لو بون" الجمهور في مستواه العادي على أنه تجمعا لمجموعة لا تقوم على التمييز، ثم فصل في سيكولوجيته من الناحية النفسية على أنها حالة يخطر فيها الفرد مع الجمهور ومنه تتلاشى الشخصية الواعية له (المنعزلة عن وسائل الإعلام) وهيمنة الشخصية اللاواعية، وتوجه الجميع ضمن الخط نفسه سواء سطة عملية التلقي، ومنه انتشار العواطف المشتركة، والميل لتحويل الآراء إلى فعل وممارسة مباشرة وهو كذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنما يصيح بارة عن إنسان إلهي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده (غو ستاف لو بون، 2017، صفحة 23).

فتت شكل لدى الفرد أنت مائة أفكارية مختلطة تؤسسها له وسائل الإعلام الجماهيرية، الشبكات الاجتماعية من خلال استغنائها على عزلته الأولى، وهنا يبدأ بالبحث عن مجموعات ساندته للرأي والفكر ليطور معها تجربته الاتصالية.

فليس بالجد يد على الأفراد البحث عن المدتوي والمعلومات والآراء التي تشبه ما يعتقدونه بالفعل من معتقدات، ويطلق علماء النفس على هذا المربعية "الاندياز التأكيدي"، وتم شرحها على أنها الميل الطبيعي في السلوك البشري للاتفاق مع الجماعة حول اعتناق الآراء والمعتقدات التي بدورها تكون جماعات واقعية أو افتراضية حول ظواهر معينة (ميشيل كارفيل، ايان ماكراي، صفحة 264).

فعند النظر لظاهرة الجم هور نجدها معروفة منذ القدم وحتى قبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية التقنية، وانتقال الجم هور إلى استخدام الشبكات الاجتماعية وتطبيقاتها، وتلقي أخبارها ومنشوراتها بحسب قدراته المعرفية والإدراكية، وبحسب العواطف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى التشريعية.

وتشير الباحثة "فاطمة الزهراء محمد أحمد السيد" في دراستها حول الخوارزميات وهندسة تصفيات استخدام الإعلام الاجتماعي إلى مفهوم الجم هور بصفته العادية على أنه أحد أطراف المثلث لجانب المتلقي أو كما وصفته بـ "ستهلك المحتوى الاتصالي"، أما مفهوم الهندسة الجماهيرية فوصفته على أنه: "مجموعة من التأثيرات على العقل الغير الواعي للجم هور من خلال عمليات اتصالية ذات أهداف نفسية واجتماعية تستخدم فيها تقنيات الإقناع لتحقيق أهداف محددة" (السيد، 2020).

وتعتبر الشبكات الاجتماعية ومفراقاتها التفاعلية مدخلا رئيسيا لتغيير وظائف وأدوار الجم هور وانتقاله من التلقي الحادي إلى التفاعل التفاعلي، حيث برزت لناديناميكيات جديدة في الممارسات لدى الجم هور، ومنحلا فرد ضمن هذه المساحات الافتراضية مستويات غير مسبقة من السيطرة والتمكين نتيجة الإثارة الرقمية، وتمثلت هذه الأدوار التي منحت لها الشبكات الاجتماعية للجم هور الذي يسمي "بالمدّ" في صفته البسيطة على إنه تاج المنشورات والتعليق عليها، وتداولها بحسب اهتماماتهم الفردية، دون أي حواجز خطية، ولم تقتصر الإثارة الرقمية على ما تم ذكره بل امتدت إلى آليات التفاعل اللحظي والمباشر، مما ساهم في تجلي قواها الجديدة من الجم هور كالمؤثرين، صانعي المحتويات الرقمية، المواطن الصحفي وغيرها....

لتنعت مد الشبكات الاجتماعية على خوارزميات متطورة تعمل على تحليل بيانات الأفراد بغرض تقديم توصيات مخصصة، أي مراقبة أنماط المشاهدة والتفاعل، ومحررات البحوث بهدف تزويد المستخدمين

بمحتويات تتنا سب مع تمثلاتهم المعرفية والسلوكية، فالخوارزميات تعمل على إبراز اقتراحات خاصة بالضاامين والصناعات الإعلامية استناداً لعملية المشاهدات العالمية، فكلما كان التخصيل الخوارزمي مناسباً للجماهير، كلما تولى لدى الأفراد انديازات تأكيدية حول ما يتعرضون له، وما يذشرونه، وما يلبي رغباتهم هذا بدوره يذمي توجهااتهم الفكرية والسلوكية، حول ممارسات الحريات الموجة دون وعي منهم، فهذه العمليات التقنيّة تشير العد يد من المشكلات الأخلاقية للشركات القائمة على هذه المذصات أخلاقياً، التي تسمح لنفسها بتجميع واستغلال بيانات المستخدمين بغرض توفير تجارب رقمية مخصصة تزيد من حرياتهم في جوانب دون أخرى، حيث تكون الحريات هنا مقيدة ومراقبة بنمط مختلف عن المراقبة التقليدية، ويعتبر هذا انتهاك لحق الخصوصية لدى الأفراد، ليجد هذا الأخير نفسه يعيش تجارب رقمية جديدة حول ممارسات الحرية، فكلما تم إشباع توجهاته ودوافعه بمعلومات تناسبه كلما سلبت منه حقوقه وحرياته.

ففي سنة 2024 أعلنت شركة Meta بخصوص مذصة اذ ستغرام بأذها ستبدأ في عملية ا لحد الرقمي من توصية المحتوى ذوال طابع السياسي لجمهور تزامنا مع الحرب على غزة، ما لم يكن المستخدمون يتابعون بأنفسهم هذا النوع من المحتويات الرقمية، وشمل هذا التغيير قوائم الذشرم مثل Reels و صفحات الاستكشاف (PRITHVI IYER, Explore 2024).

فالهندسة الجماهيرية هنا تبني على سياسات المذصة بحد ذاتها من خلال العمل على تشكيل جمهور معيننا يكون معرضاً للمحتويات الرقمية السياسية، بينما هناك نوع آخر من الجماهير لا يرى المحتوى إلا إذا قرر بنفسه متابعة هذا النوع من المحتويات السياسية، أي أن لنظم الخوارزمية هنا تعمل على هندسة الجماهير من خلال فرز الجماهير وبناء فروقات تأثيرية ناتجة عن عملية الإتاحة.

و من التداعيات الأخرى للإتاحة على المشهد الوائطي سهولة النشر الرقمي من قبل المستخدمين، وتفشى ظواهرات صالية جديدة متصلة بموضوع "الخصوصية الرقمية" الذي ارتبط ارتباطا وثيقا في النقاشات البحثية بموضوع الأخلاقيات والمسؤولية الاجتماعية التي تعبر عن الطروحات الجدلية لدى الجسم هورلند سببها وذلك راجع لمنطلقاتهم النفسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية من خلال استعراض أنماط حياة الأفراد واستغلالها كسعة تجارية للترويج للمعادن والسلوكيات المعولمة، وأداة للربح الاقتصادية مدعياها كأسلوب للالتصال التسويقي خاصة من خلال المؤثرين وانتقالها أحيانا للمستخدمين خاصة عبر الترندات والتي غالبا ما تكون داخل منصة "تيك توك".

لتنضج هذه الممارسات في بعدها الأخلاقي الذي أصبح مجردا من الأطر القيمية ومكتسباته الاجتماعية والسير نحو متابعة المحتوى ذو الذوق الهابط والتخلي عن مبدأ المسؤولية الاجتماعية في عملية إبراز الرقمي وهذا بدوره ترجمة لتمثيلات الجماهير حول الحرية.

في حين تبقى العلاقة بين الجسم هورلند وحرية التعبير علاقة مدوجز تتحكم بها نفس العوامل السابقة للأفراد لكن غالبا من يتم ممارسة نوع من الرقابة على ما يتم نشره وتداوله من مضمين تعبر عن حالات سياسية واجتماعية يتشارك في تأييدها المستخدمين، وهنا تتجلى للنظم الخوارزمية في هندسة الجماهيرنف سيا وعاطفيا من خلال إثارة انفعالاتها، وسرعة التأثير عليها، وتضخيم وتبسيط القضايا والأحداث حسب أيديولوجياتها والقائمين عليها.

أصبحت الخوارزميات أدوات مركزية في تشكيل الجسم هورلند الرقمي المدتوي، حيث أصبح الجسم هورلند بمثابة مستهلك للمعلومة خاضع لمنظومة قادمة على التفاعل المضلل والمراقبة المستمرة وهذا ما أطلق عليها زيغمونت باومان "المراقبة السائلة" (ليون، 2018، صفحة 29) في فلسفته ورغم ما تتوفر عليه هذه الشبكات الاجتماعية من بوابر حرية

لنناقش التفاعلية و غرس فكر الديمقراطية الرقمية لدى المستخدمين إدراكيا ، فقد أدى صعود المنصات الاجتماعية إلى تركيز أكبر للسلطة الاتصالية، وهذه المنصات تحكمها خوارزميات غير شفافة وتعمل كـ "حراس بوابة" جدد، يتحكمون بالضمائم الرقمية وفقا لإيديولوجيات محددة.

ويمكن توضيح عملية المراقبة أو الحجب أو تقطيع الظهور لمحتويات معينة دون غيرها عبر منصة إنستغرام وفيسبوك من خلال تقرير منظمة Human Right watch "حول الرقابة المنهجية على المحتوى المتعلق بـ فلسطين" حيث سجلت حالات حجب منشورات في الفترة الزمنية بين أكتوبر ونوفمبر 2023 عبر المنصتين في أكثر من 60 دولة متعلقة بالقضية الفلسطينية، وانتهت المنظمة الأخيرة القائمين على هذه المنصات بأن السياسات الرقابية المطلوبة تؤثر على حرية التعبير. (Meta's Broken Promises Systemic Censorship of Palestine Content on Instagram and Facebook, 2024).

فالهندسة الجماهيرية في هذا المثال قادمة على علمنا لنظم الخوارزمية التي يمكن وصفها على أنها سلطة غير مرئية فهي تعمل على تقطيع ظهور المحتوى الفلسطيني، ولا تعمل على الحجب، بل تعيد هندسة الجمهور بحيث يصبغ من يتعرض لهذا المحتوى فقط جمهورا معيناً أي من يهتمون بمتابعة شؤون الحرب على غزة، بينما ما يقصى الجمهور الأكثر ثرائاً شاراً للذين يعتدنون على خوارزميات التوصية أو الاكتشاف في استخدامهم للشبكات وتداول المعلومات، فالحرريات الرقمية كمبدأ متاحة لكن حرية الوصول مقيدة جداً نتيجة سياسات هذه الشبكات، فالجماهير هنا لا تتكون من خلال تفاعلها بل تصمم خوارزميات معينة لتجعل هذا الجمهور منتشر أو محدوداً.

ومن منظور آخر تساهم لنظم الخوارزمية في عملياتها مع الجمهور في تشكيل صور تمثيلية لشخصيات المستخدمين من خلال ما يتم إبرازه رقمياً، وتعد هذه العملية على استتباب أذشطة وتفاعلات المستخدمين

ضمن الشبكات الاجتماعية، ورصداً نمطية السوق السيادية والاجتماعية، وأسلوب الحياة المقبول، وحتى ساعات الاستخدام اليومي، وتوظيف هذه المعلومات في بناء قالب شخصي دقيق يترجم بدقة اهتمامات الأفراد وتوجهاتهم، مما يمكننا لنظم الخوارزمية من الوصول له بمضامين تتناسب مع اهتماماته، والتي تجعله دائماً النقاش والتفاعل حولها.

تعزيز هذه الخوارزميات عندما يشهد تداول الجماعات هواتفهم بغرض استقطاب من يشركونهم الرغبات والدوافع، مما يؤدي إلى عملية التكرار ضمن جماعات جماهيرية لها نفس الخصائص والمقومات، والمتعرضة لضغوطات خوارزمية معينة، لتجد هذه الأخيرة نفسها ضمن فئات مخصصة تساهم في انغلاقها على نفسها، فلا تتقبل من يعارضها آرائها، هذا بدوره يساهم في لورة دوايمة الصمت حيث يتم تهيش الآراء المختلفة وتضخيم الخطابات المؤيدة للتجاهات السائدة لدى الجماهير أو القضايا التي تشكل الرأي العام.

في هذا الإطار، ظهرت مجتمعات المعجبين (Fandom Community) بوصفها نتاجاً مباشراً لبيئة إعلامية رقمية تهيمن عليها صناعة الترفيه، وتكمن الجوانب الإيجابية لهذه المجتمعات في إتاحة فرص أو سبل للتواصل بين الجماهير والمشاهير، بالإضافة إلى قدرتها على تشكيل الفعاليات والأنشطة المتعلقة بهم بفعالية عالية، غير أن هذه المجتمعات لا تخلو من سلبيات، لعل أبرزها ما يتعلق بتأثيرها المتزايد على تشكيل الرأي العام، إذ يسهم التنافس المفرط بين المعجبين، إلى جانب السعي الدائم من قبل الشركات لجذب الانتباه وتحقيق الانتشار في خلق فضاء إعلامي غير متوازن، تغلب عليه مظاهر التطرف في التعبير والانغلاق في المواقف، ويؤدي ذلك إلى تآكل النقاش العام العقلاني، وتحويل المنصات الرقمية إلى أدوات ترويجية تخدم مصالح اقتصادية، على حساب التعددية الفكرية والتنوع في وجهات النظر. (Jincheng Xu، 2022، صفحة 60).

ف صناعة المحتويات الرقمية التي غالباً ما تكون محتويات مصطنعة تحت مل مجموعة القوالب النمطية، وعملية التفاعل الجماهيري التي تتم كفضاء مجرمي للجماهير حول استعراضاتهم، تعبر بمثابة "مثير واستجابة" وفق إطار خوارزمي معين يحدد لهم مداخل حرياتهم وفق قالب معين دون غيره، من خلال تضليلاتهم التي تداول، وتداولهم وفق عليها، وحتى من خلال تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي أتاح لنظم الخوارزمية معلومات حول اهتمامات الجماهير، مما يسمح لها بتوجيه هذه الاهتمامات وفق قائلاتهم وسلوكياتهم الجماعية وليس حتى الفردية، ويكون هذا ضمن استراتيجيات متعددة، تقوم في بدايتها بتحليل مستوى الجمهور في درجاته سواء كان:

- المستوى الأول: ويطلق عليه "الجماهير الشبكية" ويوصف "بالجمهور الأول" (Gerbaudo, 2025، صفحة 04) وهذا النوع غالباً ما يشاهد فقط ونادراً ما يتفاعل حول ما يهتم به ومنه يساهم في إضعاف شبكة الانتشار المحددة من هذه النظم.

- المستوى الثاني: وهي "الجماهير المجمععة" وتعبر من الجيل الثاني لجماهير مواقع التواصل الاجتماعي وهذا النوع من الجماهير هو الذي تعمل عليه النظم الخوارزمية في بناء توجهاتها وتحدد اهتماماتها الذي بدوره يترجمها في تفاعلاتها الرقمية خاصة في ما يسمى "ثقافة الترنس" وتكراره من قبل الجماهير، وثقافة إن شاء الله سوم أو ما يسمى "بالهاشتاغ" لتفصيل زيادة بروز محتويات دون أخرى، وتعزز قادة الأفراد بممارسته حرياته من خلال ما هو متاح، ومن خلال ما يمس خصوصياته، ومناقشة تلك المواضع بوضعه في مساحة حرة للتعبير عن ما حدد له سابقاً، فحين يكون الجماهير في حالة انتشار وتداول للمعلومات عبر الشبكات الاجتماعية الرائجة يصبح هناك نوع من المنافسة الرقمية في ممارسة الحريات أكثر شدة خاصة في النقاشات السياسية ما يظهريه منصة تويتر أو منصة "x" حالياً، بين ما تشتهر

منصة يوتيوب بسمعة التعليقات السلبية والمعادية والمتضمنة للعدد من الخطابات الشعبوية والغير مناسبة للمضمون .

وهذا راجع لعدد شرائح المستخدمين حيث لا تميز الخوارزميات بين التعليق السلبية والإيجابية داخل المنصة، أما تطبيع استغرام وفيس بوك فيعتبر مدعاً للتفاؤل أكثر والشاركة الجماهيرية للمحتويات من قبل الجمهور على تقييماً لذات المستخدمين ضمن هذه المنصات مما أدى إلى بروز ما يسمى "بالشاهير الصغيرين" نتيجة فعل المشاركة من قبل المستخدمين، أما خوارزميات تيك توك فتعمل على التوليد لخوارزمي السريعة الانتشار للمضامين بشكل عشوائي ويطلق على هذه العملية التمرير السلبي للجماهير (Hannah Metzler, David Garcia, 2023, p. 742).

حيث تقوم الخوارزميات من خلال هذا الدور بتوجيه انتباه الجمهور بشكل تلقائي، وبناءاً على طرق جديدة للوظائف التي يقوم بها، وتضع الفرد في خانة حسب أدواره ووظائفه، والتي تقوم بتفعيل لها الأيديولوجيات الداعمة بمختلف توجهاتها سواء كانت سياسية، اجتماعية، ترويجية، لتجد هذه الأنظمة الأيديولوجية نفسها أمام تحديات للمحافظة على عمل هذه الخوارزميات مشكلة لمعت قنات الجمهور هوروم عارفهم و سلوكياتهم، وهنا يمكننا طرح إشكالات أخرى حول دور الخوارزميات في المحافظة على انتباه الأفراد والجماعات الجماهيرية ودفع هذا الانتباه في إبراز أدوار ووظائف معينة تدفعه إلى الترويج لمنظومة معينة من الأفكار بحرية موجهة وكأ أنه يمارس مبدأ الحيادية والشفافية الرقمية.

ثالثاً: دور "غرف الصدى" وفقاً لـ "صفتية" في تمكين الجمهور وتسهيل أنماط جديدة من الحريات الرقمية داخل الشبكات الاجتماعية

تعد مفاهيم "غرف الصدى" و"فئات التصفية" استعارات قوية بارزة تجسد عدة مخاوف شائعة من أن الشبكات الاجتماعية قد تُقوّض حرية الوصول إلى المعلومات وانتهاك الخصوصية الرقمية، وحرية التعبير

، من خلال فرض رقابة للمحتوى المتاح للمستخدمين بما يتناسب مع تفصيلاتهم السابقة، وهو ما يهدد حق إتاحة المعلومة ويضعف إمكانية بناء تجربة اتصالية مشتركة في الفضاء الرقمي.

وينظر لـ غرف الصدى (Echo Chambers) على أنها نتيجة الأنماط الاتصالية القائمة على التخصيل لخوارزمي، تبور في الفضاءات الافتراضية إشارات جديدة من الاستقطاب المعلوماتي، يتجلى في بروز جماعات مغلقة تتمحور حول سردياتها الخاصة وتعيد إنتاجها بشكل دائم، وتبرز هذه السرديات من خلال ما يطلق عليه "سائتين" "الشالات الإعلامية"، أي التدفق المتكرر للمعلومات داخل الجماعة نفسها، ما يؤدي إلى تصلب القنوات وتزايد الراديكالية الفكرية، في ظل غياب التعرض لوجهات نظر مخالفة أو مناقشات جدلية مفتوحة. (العيادي، 2018).

أما فئات التصنيفية (Filter Bubbles) فقد صاغها الناشط الرقمي "إيلي باريسر" يصف الفجوة على أنها "نظام معلوماتي شخصي تشكله الخوارزميات استناداً إلى تصورها لمن أنت" (Möller, 2021, p. 94)، ففي حالة غرف الصدى توجد علاقة ارتباطية بين الخصائص التكنولوجية والمنصات الاجتماعية انطلاقاً من إتاحة شبكة الانترنت والاندماج في البيئات الاجتماعية يساهم بشكل حرجي في نشر المعلومات بسهولة وتفضيل النقاشات العامة من خلال التعرض المباشر أو غير المباشر لضمائم ونماذج من الأفراد المختلفين حيث لم تعد هذه العمليات التعرضية متاحة داخل هذه البيئات، ففي البعد الاجتماعي لهذه الظاهرة تبرز غرف الصدى فكرة الاستقطاب الاجتماعي، أي تلقي المستخدمين لمحتويات موزعة من قناعاتهم المسبقة، وهنا تتجلى فكرة "الاندياز التأكيدي" التي تم شرحها سابقاً، والتي بدورها تعمل على تلاشي التمثلات الاجتماعية في الفضاء العام، وتغيير الأدوار بالنسبة للأفراد في ممارستهم الطبيعية والمعنوية واقعيًا، انتقا لها افتراضية خاصة إذا اقتربت هذه الحريات بظواهر الأخبار المضللة التي تكرر الخطأ بات

ال شعبية والمعادية، ومنها ت ضعف وظيفة التلقي لدى المستخدمين اجتماعيا .

فخوارزميات الشبكات الاجتماعية مثل : فايسبوك و تويتر وانستغرام تعمل على تعزيز التفاهل وتحقق أقصى درجات الانخراط الرقمي، وهذا بدوره يعزز من حريات الأفراد داخل هذه المنصات في تبني معتقداتهم وآراءهم إزاء أحداث معينة وبناء مدركات معرفية تؤكد لهم أن فكرة تبني هذه الأفكار كإشارات صائبة دون غيرها، وهذا ما يسمى "بالخوارزميات النفسية لهذه الظاهرة لأخيرة، وهذا ما يسمى "بالخوارزميات الانفعالية" التي تشجع على إعاقة صناعة ثم تداول المحتوى الذي يثير الغضب أو الخوف أو العاطفة، مما يساهم في توجيه الجماهير نحو محتويات إثارة والتفاهل دون غيرها ودون التحقق من مصداقيتها وموضوعيتها ومصدرها. (Mwangi, Eric, 2023، صفحة 15).

وتؤكد المنطلقات الأخيرة لعمليات الاتصالية التي تقوم بها فئات التصفية في هذا الجانب أن فكرة الاستقطاب الجماعي حينها يمارس الأفراد حرمانهم وإجراء معاملات جماعية للأخبار والأحداث داخل مجموعات مغلفة تتشارك أفكارها ومعارفها، وهذا يشكل لهم تجارب اتصالية معادية وشعبوية كما ذكرنا سابقا وتكون ضمن إطار محدود جدا، وهنا يتجلى على مل الخوارزميات في توسيع هذا النطاق لتكبير دوائرتك لتلك الاستقطابات الجماعية إلى بؤرة اتصالية تتضمن رأيا عاما وليس جماعات صغيرة فقط، وعند النظر لهذه الاستعارات نجد أنها تتضمن درجة عالية من الحتميات الاتصالية، إذ يفترض أن الوسيلة هي التي تحدد الرسالة، وليس تفا على المستخدم من يحدد نوعية المحتوى ودرجة عرضه، حيث تعمل وفقا لتصفية على تشويه توقعات الجماهير حول الأفكار السائدة، فالسياق الذي تضعه الخوارزميات من خلال فئات التصفية وغرف الصدى تجعل الفرد يعيش حالة من الوهم بأن كل ما يتلقاه هو يتعرض له الجميع في حين أن ما يتعرض له هو تغذية عكسية لسلوكياته عبر المنصات الاجتماعية لا أكثر.

وتتداخل غرف الـ صدى وفقاً لـ صفة العمل في الـ صالات الـ صالية من منطلق أن الأولى تتفاهل مع الأفكار والـ سلوكيات وتـ ساهم في بناء شبكات أيديولوجية معينة.

والثانية تعمل على تـ ظيـ م تلك المحتويات وتخصيصها حسب الـ دوافع والاهتمامات، فكل ما تناسب المدعى مع الـ اهتـ مام كل ما زاد شعور الـ فرد بحريته أكثر من خلال إتاحة المعلومات وممارسة خصوصيته والتعبير عن عواطفه وأفكاره، إضافة إلى عملية التـ ظيـ م والتوجه الرقمي ساهمت في تنظيم الخوارزمية في انعكاسات سلبية أخرى على الجماهير خاصة مع اقترانها بفعل الحرية لدى الـ مستخدم فالأيديولوجيات الداعمة تعتبر محرك الأساسي لهذه الأنظمة والمشارك الـ فعال في هندسة الجماهير وتوجيهها وحصرها.

وتعمل الـ شبكات الاجتماعية كجهاز أيديولوجي دعائي يد تـ شـ كيل الأفـ مال الجماعة للجماهير وحر ياتهم وفقاً لمن هم قائمون على تـ سير هذه الشبكات (الـ مستوى الأول)، والذين هم في الأساس لهم د عائم ومحركات خارجية تـ سيطر على أطرهم الفكرية، ثم ظهور المؤثرين الرقميين الذين لهم آثاراً بالغة في عملية الهندسة الجماهيرية والحشد والتعبئة اتجاه عمليات الاتصال الافتراضي المختلفة، مما يجعل م تاييهم في حالة استعداد دائم للتعبير وإعطاء آراءهم وفق تصوراتهم (الـ مستوى الثاني) ثم ووسائل الإعلام الجماهيرية (الـ مستوى الثالث) التي لا يـ مكن إلـ غاء دورها الـ تأثيري في خـ ضم هذه التطورات على أنها المؤطر والمحدد والموجه لنوعية المعلومات الواجب على الـ فرد والجماعة أن يتعرضوا لها بالاعتماد على مختلف القوالب والاستمالات الخطابية.

إلا أنه في العـ يد من الـ شاهد الـ سائطية خاصة ما يتعلق بالحروب الـ سيبرانية والدعاية في مختلف الـ لحالات السياسية والأمنية تعتمـ د هذه الـ أيديولوجيات خاصة الأنظمة الـ سائدة على تـ أكـ يد توجهها وترسيخها من خلال إذـ شاء حـ سابات وهمية تحرك عواطف الـ جمـ هور وتـ كـ د

انحدازاتهم المعرفية اتجاه القضايا والأحداث من خلال انتشار هذا النوع من الهويات المزيفة أو كما يطلق عليها "الذباب الإلكتروني" الذي يعمل على تدعيم اتجاه معين دون غيره وهذا بدوره يجعل الفرد رهن تلك الفقاعة، وضمن مساحة ضيقة تمكنه بمناقشة أفكاره بشكل حر دون النظر لمعلومات ومعارف أخرى ضمن سياق ضيق يرى فيه ما يوافق اتجاهاته فقط.

فالذباب الإلكتروني أو اللجان الإلكترونية أحد أهم أسلحة الحرب الإلكترونية الحديثة على مواقع التواصل الاجتماعي، لا تحتاج إلى تكاليف مالية كبيرة وترسانة فتاكة من الأسلحة، بل مجرد حواسيب وروبوتات مبرمجة وفيرسات تكفي لإلحاق أضرار وتأجيل صراعات، فالذباب الإلكتروني هو عبارة عن حسابات وهمية مبرمجة وموجهة باتجاه معين، وبطرق ممنهجة تدار عن طريق برمجيات ومواقع تقوم بكتابة التعليقات والإعجابات وإعادة التغريد تلقائياً، حيث تعمل على إنشاء وسوم واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي للدفاع عن وجهة نظر معينة، أو الهجوم على وجهة نظر مخالفة، ضد أشخاص أو دول بهدف التأثير على الرأي العام، كذلك تستخدمه الشركات العالمية للترويج لمنتجاتها لرفع مستوى المبيعات والتفوق على منافسيها مقابل تقديم مبلغ مالي لصانعي الروبوتات. (برزيق، بوعلام، 2018).

وهذه الممارسات الهجينة التي تعد مدتها الأيديولوجيات المختلفة بالاعتداء على أنظم الخوارزمية ساهم في الكثير من الأحيان في انتشار الأخبار المضللة خاصة في الحملات السياسية، وأحياناً إلى تزييف الحقائق وعن الواقع من خلال الاعتداء على تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وخلق شعور وهمي بالإجماع الجماهيري حول قضية أو حدث معين وهذا ما يواجه الحريات ويضعف حقيقة ممارستها لأنها تعتبر خاضعة، وتعتبر هذه الأساليب أحد أهم الاستراتيجيات الحديثة في توجيه حريات الأفراد وبناء معالم جديدة لممارستها تحت لفة عن العالم

ال سابقة لما تعت مده من مكونات للتقنية بحد ذاتها، والعوامل النفسية والاجتماعية للأفراد.

فال شبكات الاجتماعيه تعبر بمثابة وسيلة وسالة يعتمد عليها في إ عادة صناعة الحريات من خلال إتاحة مصادر المعلومات والآليات صال المختلقة ذات البنى الخوارزمية المتعددة، والخصوصية التي لها منافع شبكية متعددة من ناحية التقنية التي تعمل على تجميع البيانات وتحليل الدوافع والرغبات وبيعها، ومن جانب آخر ممارستها من قبل المستخدم الذي أصبح يعتمد على عملية الإفصاح عن خصوصياته كسلعة لإبراز الذات والتقدير وكأداة ترويجية.

في حين أن حرية التعبير الموجهة التي غالبا ما تكون نتيجة المرحلة السابقة وغالبا ما تكون انعكاساتها في شكل خطابات ومضامين معادية وشعبوية تتمثل في شكل "بخطاب الكراهية" الذي أصبح خطا بادعائي ناعما أكثر شرم نه خطا باحادا، حيث تدفع الخوارزميات المستخدمين إلى تبني آراء ومعتقدات متطرفة وضيقة، حيث استحوذت لنظم الخوارزمية على العديد من عمليات اتخاذ القرار لدى المستخدمين، ومن هنا نشأ مصطلح "الدولة الخوارزمية" أي أن النظام السيبراني لحديث لم يعد مجرد أداة لتحقيق أهداف يحددها الإنسان، بل أصبحت الوسائل الشبكية تصدر قرارات بشكل مستقل نيابة عن الإنسان، وهو ما يقوض جوهر الحرية الفردية (Hans-W. Micklitz, Oreste Pollicino, And others, 2021, p. 128)، فهذا الطرح يدفعنا إلى التساؤل حول منظومة الحرية من جوانبها التشريعية والفسفية وكيفية تغير هذه المنظومة بسبب الوسيلة التي يمكننا أن نصفها بأنها المحرك الأساسي في هذه الحقبة للحريات بشتى أنواعها في سياق سائل ومعنوي بعيد كل البعد عن الوجود الفعلي واقعي.

وفي ورقة بحثية نشرت في Journal la social بعنوان: "تحليل خوارزمية فقاعات التصفية على تيك توك فيما يتعلق بالاستقطاب السام

أثناء الحملة للرئاسة الأمريكية لعام 2024" أشار الباحثان Wahidin و R. Ruhyat، إلى أن فقاعات التصفية تؤدي مباشرة وتلقائياً إلى غرف الصدى، حيث يتفاقم الجهايز المستخدم مع مجتمعات افتراضية تشاركهم نفس الأفكار، فغرف في منصة تيك توك عززت "الاستقطاب السام" إبان الحملة الانتخابية الأمريكية وحولته إلى مجال محدود يكرريه نفس المحتويات السياسية ويقصي الرأي المخالف، مما أدى إلى حالة أعقبت لقاءها بالباحثين "التضخيم الخوارزمي". (Ruhyar.R , Wahidin, 2024)

وأثبتت هذه الدراسة أن ظهور غرف الصدى وشكل فقاعات التصفية ساهم في تراجع مبدأ الإثابة والاستخدام الحر، وهذا بدوره يؤثر على الحريات الرقمية للجماهير، في حين أن هندسة الجهايز تتم عبر استراتيجيات خوارزمية تعيد بناء وتشكيل الرأي العام الافتراضي، فالخطابات السامة أو الخطابات الكراهية أصبحت أكثر حدة وناطقة حرة التعبير مما حولت منصة تيك توك إلى منصة صراع وليس للنقاش الحر، وهذا نتيجة القرارات الآلية لمنظم الخوارزمية التي تعمل على تحديد ما يراه الجمهور هور والأولية للتفاقم للأدب ماد العاطفية والتعصبية.

ومن خلال ما تم التطرق له من أسباب وعوامل ومحاولة فهم بعض الأدوار والوظائف للوسيلة والرسالة والمتلقي والنتيجة، استتبطناً أنه لا بد من وضوح عمل هذه النظم ودورها في الهندسة الجماهيرية وتشكيل الحريات من خلال مدخلين مهمين الأول أن يسلم الفرد والجماعة أنفسهم لهذه النظم في عملية الإمداد بالمعلومات طوعاً وبوعي تام وهذا لا يعبر ترويجها للحريات بمختر لف مؤثراتها التي ذكرناها سابقاً بمعنى أن تكون عملية التعرض لهذه النظم اختيارية وعن دافعية مسبقة.

أما الثاني هو تلقي الجمهور لهذه المعلومات بعقلانية ووعي، وعدم التسليم التام به صداقية هذه المعارف الرقمية كونهما خاضعة لمنظم

خوارزمية تعمل على تأكيدها الانديازات والسلوكيات الناتجة عن استخدام الأفراد لشبكات الاجتماع، أي أن عملية الهندسة الجماهيرية وتشكيل الحريات لا يقوم على بناء معارف من قبل هذه الأنظمة بل يقتصر على عملية الترسيع (الاندياز التأكدي) وهذا بدوره يضع حريات الأفراد لمجموعة من التوقعات السابقة والمندحزة وليس حقيقتها، فالبدء الأساسي الذي تقوم عليه الحريات حسب مسلماتها هو عدم تأطيرها أو وضع حدود لها لأنها حق طبيعي إنساني قبل كل شيء وهذه الممارسات تتخالف مع تلك المسلمات والتي تؤسس لحرية سائلة ومزيفة خاضعة لمنظومة ميتافيزيقية من شكل آخر.

خاتمة:

تعتبر الحريات الرقمية من المواضيع الراهنة بحثية في السياقات الأكاديمية الراهنة لما تتضمنه من ممارسات أفرزت لنا ظواهر إعلامية واتصالية جديدة وأخرى امتدت من الفضاءات العامة، نتيجة تطور التقنيات وتعاظم الأدوار والوظائف للأفراد داخل شبكات الاجتماع، من الإثارة الرقمية التي تعتبر حقًا صالبي ضمن عملية الاستخدام في شكلها الطبيعي، والخصوصية الرقمية الخاضعة لمجموعة من المنطلقات الخاصة بالتقنية وقرارات المستخدم النفسية والاجتماعية، ثم حرية التعبير التي باءت تشكيل جزء مهم من اهتمام السياسات والتشريعات في جانبها الرقمي لما لها من تداعيات على المجتمعات وأمنها، ومن هنا فاقم وضع ممارسات الحريات ضمن هذه الشبكات فمن خلال ما تم التطرق له من بناء نظري والاطلاع على بعض الأدبيات التي لها علاقة بظاهرة التنظيم الخوارزمية التي تعتبر من كثر عدد منطلقات الهندسة الجماهيرية لتحكم بحرياتهم الفردية، وتوصلنا لعدة استنتاجات نتيجة استقراءنا لظاهرة التنظيم الخوارزمية وعلاقتها بالحساسات والهندسة الجماهيرية حيث أن :

1. الحريات الرقمية كظاهرة اتصالية لم تعد تقتصر على إعداد القانون والتشريعي بل أصبحت متصلة بالآليات التقنية للشبكات

الاجتماعية، أي أن الإتاحة الرقمية مرهونة بالنظم الخوارزمية لهذه الشبكات وليس بالقوانين والتشريعات الدولية والمحلية، والخصوصية تحولت من حق فردي رقمي إلى نمطية مدعاه في الإعلانات والدعاية للجماهير.

2. الجماهير عبر الشبكات الاجتماعية خاضعة لنوع من الرقابة الخفية، من خلال بياناتهم وسلوكياتهم التفاعلية مما يسهل على النظم الخوارزمية هندسة المستخدمين وفقا لنشاطهم الرقمي.
3. انظم الخوارزمية شكلت فجوة واضحة حول ما هو متاح من معلومات حسب سياستها والتوفر المعلوماتي الذي يسمح للجماهير بالوصول إلى جميع المعلومات دون تقييد أو رقابة.
4. تشكلت معالم جديدة لحرية التعبير التي باءت مضيعة بقوا عد خوارزمية مبنية على المشاهدات وسلوكيات الجماهير داخل الشبكات كالإعجاب والمشاركة والتعليق.
5. عمل انظم الخوارزمية في الشبكات على إثارة العاطفية والتفصيل الخطأ بات الشعبية الخاصة بقضايا هامشية، وتغيير يبرز هور المواضيع السياسية إلا إذا قرر المستخدم ذلك.
6. عمل غرف الصدق وفقا لتصفية كآلية رئيسية لهندسة الجماهير من خلال عملية التوجيه الرقمي في شكل ضيق ومحدود بدلا من تشكيل فضاءات حرة.
7. ان الشبكات الاجتماعية (فيسبوك-انستغرام-تيك توك) تبنت دور المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية في الهندسة والتأثير كن بآليات جديدة وعميقة.
8. ظهروا نوع جديد من الحريات الرقمية تتحكم فيه انظم الخوارزمية وليس النظم الديمقراطية.

ومنه يمكن إملأ جملة من التوصيات:

1. تشريعية قانونية: إن شاء لوائح تشريعية منظمة لعمل انظم الخوارزمية وهذا ما دعا إليه مجلس الشيوخ الأمريكي إلى تقديم

قانون يهدف إلى فرض المساءلة على الخوارزميات بهدف تحقيق صورة أكثر عدلاً ومسؤولية لتلك الأنظمة، بحيث يفرض القانون على الشركات المدة على الخوارزميات، ومن هنا موافقة التوافق الاجتماعي، إجراء دراسات لتقييم نظم الخوارزميات التي قد تؤدي إلى اتخاذ قرارات غير دقيقة، أو غير عادلة، وتمييزية (و سام محمد أحمد حسن، 2024، صفحة 306)

أي أنه أصبح من الضروري مطالبة المصنعات الرقمية بالكشف عن معايير التصنيف التي تعتمدها في انتشار المعلومات، بما يضمن تجسيد مبدأ العدالة في الوصول إلى مختلف المعلومات وتمثيل النوع الاجتماعي في الأفكار ورواء الاتجاهات، وتمكين المستخدم من اتخاذ قرار إلماء الخوارزميات فيما يجب أن يفكر به من خلال تفاعلاته الرقمية أو إعطاء الحرية التامة في تجربة الاستخدام الخوارزمي، وتفعيل مواد قانونية تحترم مبدأ الشفافية والتعديدية في إتاحة المعلومات، وتفعيل لوائح أخلاقية تضبط العمليات الخوارزمية من الجانب النفسي والاجتماعي لما لها من تأثيرات على الأفراد، وتوفير خالصات تقنية تسمح للمستخدمين بتعديل نشاط الخوارزميات التي تشكل اهتماماتهم، وإعادة هيكلةها إلى نشر المحتوى ذات المصادر الموثوقة والغير معادية وزائفة، بدلاً من العمل على النشر حسب التفاعل دون إدراك نوعية المحتوى.

2. اجتماعية: تعزيم مبدأ المسؤولية الاجتماعية لا بد من الجهات القائدة على بناء الخوارزميات وعملها في هندسة الجماهير والتي بدور تلغي العديد من الحقوق والحريات الرقمية، لا بد من القائمين على إنشاء هذه الأنظمة تبني ممارسات مسؤولية تساهم في الانتشار العادل والشفاف للمعلومات والغير مغالط للجماهير، ومن جهة أخرى تعزيم مستخدمي المستخدمين بهذا المبدأ مما يساهم في تحسين نشاطهم الرقمي وإن تاج خطابات ومحتويات ذات مسؤولية معالجة الواقع بجميع أبعاده.

3. إعلامية: تعزز يز دور وسائل الإعلام الجماهيرية في تشكيل الوعي الجماهيري لا تزال وسائل الإعلام الجماهيرية لها دور تأثيري بارز خاصة في عملية تحديد اهتمامات الأفراد اتجاه القضايا والأحداث استنادا لوسائل التقنية الحديثة، ومن خلال وظيفتها الإعلامية والتثقيفية لا بد أن تتبنى مبادئ إعلام الجمعه هوربع مل هذه لنظم الخوارزمية وكيف تساهم في بناء وتشكيل الواقع والحدقات وإعداد اقتراحات إعلامية تساهم في المعرفة الجماعية لهذه النظم.

4. تعليمية: استغلال الخوارزميات في لتعلم الاجتهاد ماعى ف من خلال توظيف التدريبية الرقميه كمنهج تعليمي يساهم في بناء وعي جماهيري مختل ف يمكن استغلال لنظم الخوارزمية في لتعلم الاجتماعي وذلك بموائمة عملية الاستخدام مع هذه الأخيرة.

حيث تعد وظيفة لتعلم الاجتهاد ماعى من أبرز العوامل التي تساهم في تفصيل مدعى إيجابي لهندسة الجماهير حول فعل الحرية وذلك من خلال النقد الجماهيري للضامين المختلفة وتحسين السلوك الاستخدامات مما يساهم في بناء وعي جماعي يساهم في توظيف هذه الخوارزميات للمصلحة العامة ومنه العمل على بناء ذاكرة جماعية ذات تجربة إيجابية حول مختلَف الظواهر ومنه بناء حالة من التوازن المعرفي والإدراكي حول سلوك الحرية وفقاً لظروف مجتمعية وأخلاقية وحتى النفسية نظراً لما يعاني منه المستخدمون إرهاب رقمي حول انتشار المحتويات العاطفية والمثيرة عن المحتويات البناءة.

قائمة المراجع:

1. Hannah Metzler, David Garcia .(2023) .Social Drivers and Algorithmic Mechanisms on Digital Media .Sage Journal.742 ،(05) 19 ،
2. Hans-W. Micklitz, Oreste Pollicino, And others .(2021) .Algorithms, Freedom, and Fundamental Rights .Cambridge University Press: Constitutional Challenges in the Algorithmic Society.
3. Ian Vásquez, Matthew D. Mitchell, Ryan Murphy et Guillermina Sutter Schneider .(2024) .The Human Freedom Index 2024: A Global Measurement of Personal, Civil, and Economic Freedom .Washington: Cato Institute et Fraser.
4. Jincheng Xu .(2022) .Analysis of Social Media Algorithm Recommendation System) .The University of Melbourne (المحرر) ،Studies in Social Science & Humanities.60 ،(03) 01 ،
5. Judith Möller .(2021) .FILTER BUBBLES AND DIGITAL ECHO CHAMBERS .Repository), UvA-DARE (Digital Academic.
6. Meta's Broken Promises Systemic Censorship of Palestine Content on Instagram and Facebook من تاريخ الاسترداد 22 09 ,2025 ، (21 12 ,2024) . Human Rights Watch: <https://www.hrw.org/report/2023/12/21/metas-broken-promises/systemic-censorship-palestine-content-instagram-and>
7. Mwangi, Eric .(2023) .Technology and fake news: shaping social, political, and economic .Kabarak University.
8. Paolo Gerbaudo .(2025) .TikTok and the algorithmic transformation of social media publics "rom social networks to social interest clusters ." New Media and Society.04 ،
9. PRITHVI IYER 13) .aug, 2024 .(Report Finds Meta's Approach to Political Content Reduces Reach for Activist Accounts 22 تاريخ الاسترداد . تاريخ الاسترداد 22 09 ,2025 ، من .Tech Policy Press: https://www.techpolicy.press/report-finds-metas-approach-to-political-content-reduces-reach-for-activist-accounts/?utm_source=chatgpt.com
10. Ruhyar.R ,Wahidin .(2024) .Analysis of the filter bubble algorithm on tiktok Concerning ' Toxic 'Polarization During the 2024 Presidential Campaig .ournal La Sociale.1336-1326 ،(5) 5 ،
11. أبو بكر العيادي .(2018 ,02 01) .البحث عن الحقيقة في زمن الفايك نيوز . تاريخ الاسترداد 20 05 ,2025 ، من الجديد: <https://www.aljadeedmagazine.com>
12. أسماء حسين ملكاوي .(2017) .أخلاقيات التواصل في العصر الرقمي "هابرماس نموذجاً" .بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

13. برزيق، بوعلام. (09 11، 2018). البروباغندا الرقمية.. كيف يعمل الذباب الإلكتروني؟ تاريخ الاسترداد 03 07، 2024، من مدونة الجزيرة: <https://www.aljazeera.net/blogs/2018/11/9>
14. زيغumont باومان، ديفيد ليون. (2018). المراقبة السائلة. (حجاج أبو جبر، المترجمون) القاهرة، مصر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
15. غوستاف لوبون. (2017). سيكولوجية الجماهير. الجزائر: دار المجدد للنشر والتوزيع.
16. فاطمة الزهراء محمد أحمد السيد. (2020). الخوارزيمات وهندسة تفضيلات مستخدمي الاعلام الاجتماعي. مجلة الباب (05)، 96.
17. ميشيل كارفيل، ايان ماكراي. (2023). خرافات التواصل الاجتماعي. المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير.
18. نبيل محمد خليل ابراهيم العزازي. (2024). حقوق الانسان الرقمية. المجلة القانونية ، 19 (01)، 692.
19. هال ابلسون . (2022). الطوفان الرقمي (صفحة 400). مصر: هنداوي للنشر .
20. وسام محمد أحمد حسن. (2024). ادراك الجمهور لتأثير الأنظمة الخوارزمية على توزيع المحتوى. مجلة البحوث الاعلامية ، 01 (70)، 306.